FTDES
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية
المرصد الاجتماعي التونسي

كراسات المنتدى عدد 4

في تدبير أزمة «كوفيد 19» في تونس

سياسات الدولة والفئات الأكثر تضرّرا

تنسيق: سفيان جاب الله

سبتمبر 2020

***

المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي **كراسات المنتدى**

***

حقوق التأليف محفوظة للمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

الطباعة : المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية- سبتمبر 2020
ISSN : 2724-6833

المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية

المرصد الاجتماعي التونسي

كراسات المنتدى عدد 4

في تدبير أزمة «كوفيد 19» في تونس

سياسات الدولة والفئات الأكثر تضرُّرا

تنسيق: سفيان جاب الله

سبتمبر 2020

الإدارة والتحرير:
المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية 47 شارع فرحات حشاد، 1001، تونس

المديـر المسؤول:
علاء الطـــالبي

أعضاء لجنة التحرير:
حياة عمامو، صلاح الدين بن فرج، رياض بن خليفة، نزار بن صالح،
ماهر حنين، سفيان جاب الله، مالك كفيف، محمد سليم بن يوسف

التدقيق اللغوي:
وليد فيّـــــالة

صورة الغـــلاف:
حسام السعاف

طبـــــــاعة:
الطباعة المتضامنة

المحتوى

سفيان جاب الله

تقديم عام للكُرّاس 07

المحور الأولّ: في القراءات المُمكنة لأداء الدولة زمن الجائحة..... 22

منـــــال دربالي

لمحة تاريخية عن الأوبئة في تونس. 23

حسـام سعّــاف

هوموستازية المُجتمع المختل أو في تضاعف إقصاء الهامش زمن الحدث الوبائي: قراءة أنثروبولوجية. 36

آية بوصحيــح

تعميق اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية بين الفئات المجتمعية في زمن الوباء: (مقاربة قانونية). 49

يوسف موسى

الأداء الخطابي لرئيس الجمهورية في السياق الوبائي: كيف خاطب الفئات الأكثر تضررا؟.. 60

المحور الثاني: بورتريه الفئات السوسيو-مهنيّة الأكثر تضرُّرًا من الحجر الصحّي..... 76

رضـــا كــارم

النّساء العاملات بحقول الاستلاب زمن الكورونا: ذكوريّة الفضاء، والهيمنة المزدوجة. 77

هيثم مدوري

عمّال البناء: الواقع، الحَجْر والإجراءات. قراءة في آثار الجائحة وتفكيك الأزمة. 94

أمل الهـــازل

عاملات النظافة في المُستشفيات زمن الجائحة: الفاعلات في المعركة من أجل الحياة..... 111

منتصر النغموشي

بورتريهات عاملي المقاهي والحانات في زمن الكورونا: من أجل رسم صورة للهشاشة الاجتماعية..... 126

فهمـــي البلطـي

طبيب في مواجهة الكوفيد 19: كيف عاش الأطبّاء الموجة الأولى للوباء؟. 145

محمد سليم بن يوسف

أجراء القطاع الخاص والمسألة الاجتماعية في فترة الحجر الصحي: مجالات الفعل الجماعي والتسييس.. 163

المحور الثالث: في رصد تحولّ/تغيّر كميّ ونوعي لظواهر اجتماعيّة إبان الحجر الصحّي 180

خـــالد طبـــابي

ديناميكيات الهجرة غير النظامية في تونس: محاولة في قراءة المشهد الهجري زمن الوباء.... 181

حـــازم شيخاوي

في فهم العنف المسلط على النساء داخل الفضاءات زمن الكورونا.. 202

أحمد الســـاسي

كيف عاشت الأحياء الشعبيّة جائحة الكوفيد 19؟ الكبّاريّة نموذجا..... 214

المحور الثالث:

في رصد تحولّ/تغيّر كميّ ونوعي لظواهر إجتماعيّة إبان الحجر الصحّي

في فهم العنف المسلط على النساء داخل الفضاءات زمن الكورونا

حازم شيخاوي

نبذة:

المقال هو محاولة لفهم وتفكيك ظاهرة العنف المسلط على النساء في الفضاء العام، الخاص والافتراضي في فترة الحجر الصحي الشامل؛ وذلك من خلال قراءة تقاطعية جندرية، تستند إلى الدوافع الثقافية والتاريخية والآنية، وترتكز على عدة مشارب فكرية وفلسفية.

Abstract:

This article is an attempt at comprehending and dismantling the phenomenon of violence against women in public and private spaces as well as cyberspaces during the Covid-19-induced quarantine. We offer an intersectional, gender-oriented reading that tackles cultural, historical and present-day motives, and founds itself upon philosophical frameworks.

‘’Ce que le spectacle donne comme perpétuel est fondé sur le changement, et doit changer avec sa base’’

Guy Debord

تقديم:

في مستهل ورقتنا البحثية هذه نود الإشارة بشكلٍ جلي إلى المسألة التالية: إنَّ بحثنا حول العنف المسلط على النساء بين الفضاءات لا يندرج ضمن مقال بحثي محكم أو تأملي بحت، بقدر ما سعينا فيه إلى قراءة تطورات وأحداث الواقع بالاستعانة بأدوات تحليل وتفكيك مختلفة ضمن مشروع كراس المنتدى الاجتماعي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية في **فترة الحجر الصحي**؛ وذلك بهدف فهم ظاهرة العنف المسلط على النساء ضمن مختلف الفضاءات (الداخلية والخارجية)، وينجر عن هذا الأمر إعادة قراءة لبناء كلّ من الأنوثة والذكورة ومختلف العلاقات بينهما ضمن الجائحة (la pandémie) التي طالت العالم بأسره، خصوصًا إذا ما أشرنا إلى حجم العنف المسلط على النساء الذي ارتفع بنحو 7.5 مرات مقارنة بالأرقام المسجلة قبل انتشار فيروس كورونا corona virus.

***

انطلاقًا من أزمة الجائحة أعدنا مداورة السؤال حول **أدائية الجندر**، هذا إذا ما استندنا لفهم جوديت بتلر Judith Butler، التي تؤكد على أن الجسد هو محور وجودنا وصناعتنا وأدائنا في العالم، وهو ما نُلصق عليه تصوراتنا والعادات، وهو من يتعرض إلى العنف بشتى أنواعه[1]؛ إضافة إلى أنه **برانيٌ**، أي أنه ينتمي إلى التفاعل والمشاهدة والمحاكاة والاتصال والتواصل. يبدو إذن أن الجسد هو الذي يمتلك قوة الفعل، لكنه أيضًا هو الذي يحمل تمثلاتنا، أي أنه هو الجنس الاجتماعي. لكن للبعد البيولوجي أهمية أيضًا، فالجسد هو الذي يتعرض للوعكات الصحية، وهو الذي يُمارسُ الفعل السياسي من خلاله وعليه انطلاقا من التجسد الجسماني؛ وهذا تحديدًا ما كشف عنه فيروس كورونا.

من بين المسائل العديدة المطروحة للنظر، والقراءات المتعددة، أردنا أن نسلط الضوء على كيفيات التعامل مع فضاءاتنا الداخلية والخارجية زمن الجائحة، وأن نؤوّل الإشكالية وفقًا لقراءة جندرية تحدد العلاقة بين العنف المسلط على النساء في الفضاءات المنزلية والخارجية. نحنُ

[1] « Le corps implique mortalité, vulnérabilité et puissance et puissance d’agir : la peau et la chair nous exposent autant au regard de l’autre qu’au contact et à la violence » Défaire le genre, Judith Butler, traduit par Maxime Cervuelle, Ed. Amsterdam, 2016, p34.

على يقين بأن مسألة العنف في الأماكن العامة والخاصة على درجةٍ بالغة الأهمية، خصوصًا عندما يتعلق الأمر **بالجانب العلائقي الجندري**، أي التفاعل بين النساء/ الرجال، لكن التطرق له في علاقة بالجانب الطبي والتأطير العام للحركة وإجبارية البقاء في المنازل والتفاعل في مواقع التواصل الافتراضي دفعنا لإعادة استئناف الإشكالية.

تأكد لدينا يقين حول أهمية تناول هذه الإشكالية من خلال الملاحظات الأولية، وما تم تداوله على وسائل التواصل الاجتماعي بالأساس، والأرقام التي قدمتها **الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات**[2]، وبالاعتماد على التقرير الذي أصدره **منتدى الحقوق الاقتصادية والاجتماعية** [الذي أشار إلى أن العنف الجنسي وصل إلى حدود 15% في حين مثل الفضاء الخاص والعام مجال العنف الذكوري بامتياز والذي ارتفع نحو 85% [3]] وإلى بلاغات **هيئة الأمم المتحدة للمرأة** التي سنستعين بها في التحليل من خلال ما سيقدم لاحقًا في ورقتنا.

إذن، في هذا الإطار العام يتنزل مقالنا حول العنف المسلط على النساء زمن الكورونا. من خلال هذا الطرح، حاولنا أن نفكك المسألة انطلاقًا من مرجعيات فلسفية وسوسيولوجية وقراءات الدراسات الجندرية ضمن قراءة إبستيمولوجية **تقاطعية**. لم نكتفِ قطعًا بالحوامل التحليلية، بل مَردُ السؤال هو الواقع بكلّ ثقله: إنَّ العنف المسلط على النساء ظاهرة جذورها ضاربة في كلّ المجتمعات الذكورية والباطريركية، وأثرها حاليًا على الواقع دامغ جدا، خصوصًا في ظرفية الوباء العالمي، وتداخل الفضاءات. أردنا بداية أن نفهم الرمزيات التي توجد ونتواجد من خلالها، وذلك ضمن سؤال أنطولوجي بحت، وكان لا بد أن نميز مفهوميًا بين الفضاء والمساحة والمكان وفقًا لما ترتب عن الجائحة وبالعودة دائمًا لمنظار جندري يفكك ظاهرة ازدياد وتيرة العنف المسلط على النساء، وذلك ما يجعلنا نتساءل: ما هي الكيفيات التي تتحدد ضمنها الأدوار الاجتماعية زمن الجائحة؟ وكيف يمكن أن نفسر ونؤول العنف المسلط على النساء تحديدا؟

بناءً على ما تقدم نطرح التمشي التالي في المقال: العنف مُجندرًا وحيود الفضاءات، ثم تحليل ذلك وفقًا لقراءة تقاطعية وفلسفية وبالاعتماد على الأهداف التالية:

- كيفية فهمنا لتزايد العنف المسلط على النساء من خلال ازدواج الأدوار الاجتماعية: بين الهيمنة الذكورية وترسيخ ثقافة تطويع وتعنيف النساء جسديا ومعنويا.

[2] قدمت يسرى فراوس رئيسة الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات قراءة سياسية واجتماعية لوضعية النساء في فترة الحجر الصحي الشامل، كما أشارت إلى ارتفاع نسب العنف المسلطة عليهن، وذلك في حوار أجرته في إذاعة خاصة بتاريخ 24 أفريل 2020. رابط المشاهدة: https://www.youtube.com/watch?v=4arqkUMnakY

[3] تقرير منتدى الحقوق الاقتصادية، ماي 2020.

- التطرق للأبعاد التأويلية للحجر الصحي في فهم تدبير نشاطات فضاءات عمل الفاعلين والفاعلات اجتماعيًا.

المنهجية:

نظرًا للظرفية التي أجبرتنا على المكوث في المنازل اعتمدنا في مقالنا على العودة إلى مختلف الإحصائيات المحلية والعالمية المتاحة حول العنف المسلط على النساء وتطعيم التحليل بالقراءات الفلسفية التي تهتم بالجانب الأنطولوجي والفينومينولوجي، وذلك لفهم وتَعقُّل علاقتنا بالآخر[4] طالما أنَّ ذلك نقطة مهمة وأساسية في الكتابات الجندرية. كما عدنا إلى براديغمات التحليل الإبتسيمولوجي في العلوم الإنسانية وتطويعها من أجل فهم إشكالية الحجر الصحي العام، وأيضًا استندنا إلى بحوث ومقالات صحفية ومحكّمة صادرة مؤخرًا وإحصائيات محلية وعالمية. ومن أجل الفهم التوليفي بين كلّ هذه النقاط، ارتكز العمل على القراءة **التقاطعية** [L'intersectionnalité] لغاية الربط بين مجمل العوامل التي تُخلف العنف والاستلاب والتوتر وبناء الأنوثة والذكورة وفقًا للبنى الفكرية والثقافية والتاريخية؛ وأيضا لقصد تفكيك الهيمنة الذكورية وفهم ما وقع من عنفٍ ضمن سياق الجائحة التي طالت العالم بأسره. هذا ونشير إلى أننا تركنا المراجع مثلما وردت في لغتها الأصلية [بالفرنسية].

العُنف مجندرًا وحيود الفضاءات:

يبدو أن ظاهرة العنف المسلط على النساء زمن الجائحة ظاهرة عالمية، وهذا ما أشار له بلاغ صادر[5] عن المديرة التنفيذية فمزيلي ملامبو نجوكا Phumzile Mlambo-Ngcuka لـ"هيئة الأمم المتحدة للمرأة"، الذي أقر بأنه منذ اجتياح فيروس كورونا شَهد العنف المسلط على النساء داخل الفضاء المنزلي أحد أهم الاعتداءات المسجلة ضد منظومة حقوق الإنسان. ويبين نفس المرجع أنه لغاية 6 أفريل 2020تم تسجيل تعنيف 243 مليون امرأة في العالم بأسره، وهو رقم رُجح ارتفاعه بشكل رهيب. في السياق المحلي، أكدت رئيسة الجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات[6] في ظهورٍ إعلامي أن نسبة العنف المسلط داخل الفضاء المنزلي قد تضاعف حوالي أربع مرات مقارنةً بالأرقام التي سبقت ظهور الجائحة العالمية. لكن ما لم تهدِ إليه التقارير أيضًا هو العنف الذي يسلط داخل الفضاء الرقمي، ومن هنا نفهم أن العنف المسلط على النساء لم يقم فقط بتغيير حدود الخاص والعام، بل أيضًا أصبحت سطوة التمييز الذكوري والهيتروبطريركي مُجندرةً وفقًا للجائحة.

[4] « Le devenir genré est toujours un devenir pour les autres » Défaire le genre, Judith Butler, traduit par Maxime Cervuelle, Ed. Amsterdam, 2016, p 40.

[5] إحالة على الرابط الالكتروني للبلاغ:
https://www.unwomen.org/fr/news/stories/2020/4/statement-ed-phumzile-violence-against-women-during-pandemic

[6] أنظر الرابط السابق.

إنَّ ما نريد أن نبينه في جانبٍ كبير تطرق له ميشال فوكو Michel Foucault في حديثه حول السجن البنوبطيقي[7]، حيث أكد أنه عندما انتشر الطاعون خلال القرن السابع عشر في فرنسا، تم تطويق المجال والفضاءات وتقسيم المساحات ومُنعَ الخروج من المنازل، كما تم وضع مراقب لكل المداخل والمخارج وتسجيل كلّ التحركات. إذن فالهلع والخوف من الفيروسات المعدية والتي لا يمكن التحكم بها يؤدي إلى إرساء نظام "مراقبة ومعاقبة" حول الجميع، ويُضطر الأفراد إلى الالتزام بمساحتهم الضيقة، وذلك ما يعني في قراءتنا حصر الذكورة والأنوثة داخل نفس المجال الزمني والمكاني. إن القراءة الفوكوية تؤكد على أنه ضمن معطى المرض، يصبح الأفراد ضمن تراتبية لا تفصل بين المتعافين وبين من لم يلحقهم **الأذى**، بل يخضعون جميعا لنفس الآلية الرقابية[8].

العنف المسلط يُنظر إليه أيضًا على أنه ميكانيزم تأديبي في المجتمعات البطريركية. وهنا تتدخل الدراسات الجندرية، بوصفها أداة لفهم التقابل الثنائي بين المُذكر والمؤنث المبني اجتماعيا والذي لا يُؤخذ على أنه معطى اجتماعي[9]، وهو أيضًا "حفر" أركيولوجي في الخطابات التي تُقيم تمييزًا في "الجُنوسَةِ الاجتماعية". إنَّ العنف المسلط على النساء في زمن ما قبل الكورونا وفي الفضاء العام تحديدًا هو مؤشر دامغ على أن المؤسسات والعادات وكلّ الأشكال التعاقدية الاجتماعية تعمل على ترويض الجسد الأنثوي، حيث نجد في دراسة صدرت عن **مركز البحوث والتوثيق والإعلام حول المرأة بتونس** أنَّ 78.1 بالمئة من التونسيات تعرضن إلى عنف نفسي و 41.2 بالمئة تعرضن إلى عنف جسدي و 75.4 بالمئة تعرضن إلى عنف جنسي[10]، كما أكد تقرير صدر عن **هيئة الأمم المتحدة لشؤون المرأة** أنَّ وحدات المتابعة النفسية التابعة لوزارة الصحة التونسية سجلت ارتفاعًا في عدد النساء اللواتي يتصلن بهم زمن الجائحة، ويؤكدن على أنهن يتعرضن إلى حالات قلق حادة واضطراب حيث بلغ الرقم 1269 متصلة أي ما يقارب 60.1 بالمئة من المجموع العام للمتصلين، وطبعًا ترتب على ذلك ارتفاع رهيب لحالات العنف المنزلي، مع ازدياد الصعوبات القضائية والاقتصادية والعائلية؛ وتجدر الإشارة إلى أننا لاحظنا حملة تمييز واحتقار تستبطن نظرة هيتروبطريركية[11] على

[7] Surveiller et punir, Michel Foucault, Paris, Gallimard, 1975, chapitre III, le panoptisme, pp197-198.

[8] « Cet espace clos, découpé, surveillé en tous ses points, où les individus sont insérés en une place fixe, où les moindres mouvements sont contrôlés, où tous les événements sont enregistrés, où un travail ininterrompu d'écriture relie le centre et la périphérie, où le pouvoir s'exerce sans partage, selon une figure hiérarchique continue, où chaque individu est constamment repéré, examiné et distribué entre les vivants, les malades et les morts — tout cela constitue un modèle compact du dispositif disciplinaire » Ibid., p199.

[9]« « Genre » en tant que substitut pour ''femmes'' est également utilisé pour suggérer pour que l'information au sujet des femmes est nécessairement information sur les hommes, que l'un implique l'étude de l'autre » Genre une catégorie d'analyse historique, Joan Scott, trad. Elénie Varikas, les cahiers du GIf, p129.

[10]La violence fondée sur le genre dans l'espace public en Tunisie, publication du CREDIF 2016, pp69-71.

[11] لاحظنا بالأساس نشر عديد الصور التي تتهكم على عمل النساء داخل الفضاءات المنزلية، والتي تحمل طابعا تهكميا ونظرة احتقار، حيث يمكننا الإشارة إلى أنه وقع مشاركة عديد التعليقات على غرار "صار هكة حياتكم البنات" أو نشر صور للرجال وهم يرتدون "جبة النساء"، ويكتبون عليها: "نسيت من القعدة في الدار وليت مرأة و إلا مازالت راجل"، وتتم أيضا الإشارة إلى الحيض، حيث كتب عديد الرجال "من القعدة في الدار الواحد باش يجيوه les règles" الخ... .

مواقع التواصل الاجتماعي وخاصةً "فايسبوك". كيف نفهم ذلك إذن في إطار تداخل الفضاءات والمساحات وحيود الحدود عن مجال ما قبل الجائحة ؟

لقد دفعنا فيروس كورونا إلى مَزج الفضاءات بين بعضها البعض، وإخضاع **مشهدية** الحركة والمرور داخل فضاءات ضيقة من الناحية الهندسية، فما اعتدنا على القيام به في مجال مفتوح وخارجي بكل ما فيه من تعقيد وتشابك وبكل مرئيته، أضحى اليوم يُمارس داخل المساحات التوجيهية والرقابية، وذلك ما أحدث تداخلاً على مستوى أداء الأدوار الاجتماعية (ذكورة/أنوثة) ورمزياتها والنتائج المترتبة عنها، حيث أخذنا التراتبية الاجتماعية التي تمارس عادة في المجال البراني أي الخارجي والعام، والتي تستند في مقوماتها إلى المعايير الأخلاقية، التاريخية والثقافية، وأضحت مُستقرة آنيا في فضاء الحَجب، أي في المجال المغلق.

إنَّ غلبة المذكر على المؤنث وتَجسدها ضمن العنف زمن الكورونا نفهمه على أنه النتيجة المنطقية لمسار تنشئة اجتماعية [Socialisation] قائمة على تطعيم الجنس الاجتماعي ضمن تقابل ثنائي: رجل- امرأة، دون أن تترك مجالاً لظهور الفرد أو الإنسان في إطلاقيته[12]. هنالك إذن صناعة للجنس: نقوم باستبطان مجمل العادات والتقاليد والترسميات الاجتماعية [les schèmes sociaux] التي تقيد حركة الفاعلين الاجتماعيين وهو ما عبر عنه بيار بورديو Pierre Bourdieu بالهابيتوس Habitus الذي يقوم بالتمييز تحت ذريعة "الطبيعي"[13]، حيث يسمح للمذكر، أي صورة الرجل اجتماعيا، بأن يحتل الفضاء العام، أين يكون التواجد أنطولوجيا لصورة الأقوى والذي يستطيع الدخول في صراع وتحمل المشقة والقدرة على الكلام، وطبعا ذلك ما يتيح **أدائية الجندر** خطابيا[14] مثلما تشير لذلك جوديث بتلر Judith Butler حيث يصبح التعود على التلفظ والمحاورة فعلا ذكوريًا اجتماعيا بحتًا وبرانيًا؛ بينما تبدأ صناعة الأنوثة في الداخل/ المغلق، أين تكون مهمة هذا الدور الاجتماعي القيام بالواجبات المنزلية (خصوصًا الطبخ والتنظيف) والعزلة وحجب الذات وعدم المواجهة. بناء الذكورة والأنوثة يشتغلان إذن وفقًا لمعيارية ثقافية وتاريخية بالأساس، وهذا ما يجب تفكيكه. إنَّ هذه العوامل تعزز مسار العنف الذي سجل ارتفاعا أثناء فترة الحجر الصحي زمن الجائحة.

إضافة إلى ذلك، تكشف عديد الأطر مثل الفقر والاضطهاد الاقتصادي وسلعنة النساء (الكويريات وعاملات الجنس والنساء اللواتي يلزمن البيوت) على **تقاطع** التمييز الجندري مع عدة

[12] « La socialisation sexuée crée donc des différences entre les individus. Mais il y a plus : tout comme la socialisation de classe, elle crée des inégalités (…) dans le monde du travail où la sphère publique (…) et dans la vie privée » la socialisation, Muriel Damon, éd. Armand Colin 2013, p42.

[13] Voir : Pierre Bourdieu, La Domination masculine, Paris, Le Seuil, 1998.

[14] « La performativité doit être comprise, non pas comme un "acte" singulier ou délibéré, mais plutôt comme la pratique réitérative et citationnelle par laquelle le discours produit les effets qu'il nomme » Judith Butler, Bodies that Matter. On the Discursive Limits of « Sex », New York, Routledge, 1993, p. 2.

عوامل ليزيد من معاناتهن (وذلك ما توصلت له أبحاث الدراسات التقاطعية حول النساء السوداوات في الولايات المتحدة الأمريكية) [15]. إنَّ الخوف من اللاّ-مرئي أي من الأذى دفع الجميع إلى العودة إلى فضاء ضيق، هو المنزل، أي تلك المساحة التي يتقاسمها الجميع تحت يافطة العائلة أو الشراكة، لكن هذه العودة زمن الجائحة، دفعت إلى تحويل العنف الهيتيرو- بطريركي داخل الفضاء المنزلي تحويلا مختلفًا، حيث أضحت تمثلاته متعددة: هو مكان العمل عن بعد، والتدريس بالنسبة للأطفال، وهو مجال الفسحة والراحة والأكل. أي أن التصورات الذكورية التي كانت تمارس في الفضاء البراني، أضحت تمارس في هذه المساحة الهندسية، وهو ما يعني أن العنف الذكوري الذي كان يمارس خارجًا تحول إلى أداة قهر وغلبة وتفوق جندري على النساء. ولا بد أن نشير في هذا الصدد إلى الخوف من أن تُحول فترة الحجر الصحي الذكورة نحو شيخوخةٍ مسنة تتميز بالوهن والضعف، وهذا ما تشير له آمال القرامي، فالذكور يخافون فقدان القوة والسيطرة والتحكم[16]، ويهابون المكوث في الفضاءات المغلقة؛ وإلزامية الحجر الصحي دفعتهم لعيش هذه التجربة، لكن كان هنالك نوع من المقاومة عن طريق العنف.

إن بشاعة وفظاعة هذه الصورة هو ما يحدده المجتمع البطريركي التونسي مثل العديد من المجتمعات الأخرى لأن العنف ظاهرة كونية، والجائحة العالمية دفعتنا إلى إعادة التفكير في مخاطر التميزات في الأدوار، وكشفت على أنَّ عديد عناصر التفاعل الاجتماعي ما تزال غائبة ومهمشة، رغم التقدم الحقوقي والقانوني في تونس. إننا نتمثل العالم مثلما نوجد فيه، ومثلما يمُكن لذواتنا أن تتحدد فيه دون أن نكون في سجن المعيارية الثقافية والاجتماعية. والعبرة التي يجب أن يتم استساغتها حسب تقديرنا تتمثل في كون الصمت المريب حول تفشي ظاهرة العنف في الفضاء العام أدى إلى تعميق هوة الشقاء بين الأدوار الاجتماعية زمن الجائحة أين أصبح نظام "المراقبة والمعاقبة" يشتغل على وتيرة النرجسية الفردية، حيث تتجذر العادة [أي العنف ههنا] ضمن مجتمع لا يقيم مساواةً بين الجنسين، ومجمل الفاعلين الاجتماعيين.

بين المرئي واللاّ-مرئي:

يبدو أنَّ المعطى الحديث الذي استقر في مخيال الجميع يتمثل في اعتبار الفيروسات والميكروبات والكائنات الدقيقة فضاءً للالتقاء والتشابك والتواصل، ولا يُمكن أن يكون مجال

[15] « Trop de femmes de couleur sont en effet écrasées par la pauvreté, les responsabilités parentales, le manque de compétences professionnelles. Ces handicaps, largement déterminés par l'oppression de classe et de genre, sont encore aggravés par la discrimination raciale en matière d'emploi et de logement à laquelle les femmes de couleur doivent souvent faire face » Kimberlé Crenshaw, Cartographies des marges : intersectionnalité, politique de l'identité et violences contre les femmes de couleur, l'Harmattan, cahiers du Genre, p55.

[16] "إذا علمنا أن الذكورة هيمنة بالأساس، إذ أنَّ الذكر هو الضابط والقيم والمهيمن، تبين لنا أن الهرم يجسد صورة معاكسة ... وعلى هذا الأساس كانت الشيخوخة مرحلة ضياع الامتيازات وفقدان الموقع والوجاهة والقيمة والدور والسلطة والصحّة، كما أنها بدت أزمة رجل تخلخلت هويته الجندرية، فصار أقرب إلى الأنثى" آمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية، دراسة جندرية، دار المدار الإسلامي، ص906.

المحسوس والمرئي فقط - الذي يؤول عادةً إلى الفساد والزوال- إنما أيضا المجال "المُحتجب" والمخفي وغير المرئي، أي تلك المساحة التي تتطلب منا الكثير من الأدوات التقنية والمعدات المتطورة للكشف عنها. ومن الخصائص التي كشف عنها هذا المجال الدقيق والمتناهي في الصغر أن الجميع قادرٌ على نشر العدوى، ونقل الفيروس دون أن تكون له قدرة التنبؤ والحصر والاستعداد. بذلك يُفهم الفيروس تأويليًا بأنه قدرة اللاّ-مرئي على التمكن والتواجد في المرئي؛ وههنا يقصد بالقول الجسم دون سواه. الملفت للنظر يتمثل في الآتي: يَمس الفيروس مجال أدائية الجسد أخلاقيا، ثقافيًا، سياسيًا واجتماعيًا، أي أنه يدفعنا لإعادة تمثل الذكورة والأنوثة داخل فضاءات طارئة ومن خلال تداخل المساحات، وتراجع المجال العام مقابل الالتزام بضيق المجال الخاص، وهو ما نسلطه على أجسادنا التي تهددها الجائحة؛ وهذا ما يثير فينا حيرة السؤال التالي: هل مَطلوب ومُستطاع الإنسان الآن وهنا يتمثل في الاستجابة إلى الرغبة في التعافي[17] ضمن نفس البناء الجندري الاعتيادي؟

"التوق للشفاء" بما هو مغادرة للمجال الحسابي المتوقع أضحى يعد مطلبًا لا فقط بشريًا وجسمانيًا، ولكن فعلاً حضاريًا متشعب الدلالات. كونغيلاهم Canguilhem يفسر عدم قدرة تحمل المرض زمنيًا بالخوف من الأذى [le mal]، وأصبح هذا الأمر ضرورةً ملحة بالنسبة إلى البشرية. لكنَّ أمارة التحكم ههنا هي دلالة دامغة على أننا إزاء انتقال حضاري بحت وسياسي أكثر من كونه مطلبًا علميا[18]. هنا أيضًا يتبين لنا بشكلٍ جلي أن مجال الحَجب هو مجال الفعل والاشتراط السياسيين، وأن القصد الأنطولوجي وراء ذلك يتمثل تحديدًا في المحافظة على إمكانية إدراك العالم كما هو بينٌ لنا، وإعادة تشكيله وفقًا لذلك، كما يفهم ذلك في سياق فينومينولوجيا الإدراك لميرلوبونتي[19].

ذلك يكشف ببساطة عن التالي: هنالك تقاطع بين الفضاءات و الأماكن، بين مجال الحركة العامة والمعتادة، وهو مجال الهيمنة الذكورية بامتياز، أين "تنتشر" أفعلنا في أطر العمل و الراحة واللقاء، أين نتواجد فيزيائيا، وحيث نقوم بتسليط رغباتنا و هواجسنا و مشاريعنا و نحقق النوايا التي نكتنزها، لكن ذلك لا يتم دون بُنى وعي نَخضعُ لها طوعًا أو تُسلط ثقافيًا وهي التي تشكل عوالمنا الخفية [معيارية ذكورة/ أنوثة]، و التي لا تكتفي بذاتها، إنما تقوم بهندسة المحيط وفقًا لمعياريتها و ما يترتب طبعًا عن ذلك. إذن، هنالك التقاء بين زوج المجال المفتوح و المغلق / البَين والخفي أثناء انتشار فيروس كورونا، ولكن ليس ضمن تقابل ثنائي اعتيادي، إنما هنالك امتدادات أخرى لها الأثر الدامغ على فعل الإنسان الاجتماعي، و التي تَمسُه في الحاضر و لها الأثر الصريح: ههنا تحديدًا يمكن

[17]« « Guérir », cela veut dire pour les malades réels se débarrasser du virus, et pour les autres ne plus être soumis à l'auscultation de soi et de ses proches. Mais le désir de guérison va beaucoup plus loin. » DÉRAISON DE GUÉRIR, Michaël Fœssel et Camille Riquier, Revue ESPRIT, 5/2020, p45.

[18] G. Canguilhem, Études d'histoire et de philosophie des sciences concernant les vivants et la vie, Paris, Vrin, 1983, p. 399.

[19] « Il est vrai à la fois que le monde est ce que nous voyons et que, pourtant, il nous faut apprendre à le voir » Maurice Merleau-Ponty, le visible et l'invisible, Paris, Gallimard, 1964, p 18.

مداورة السؤال حول هذا التقاطع بين مجالات الوعي والفعل في فهم ظاهرة العنف المسلط على النساء بين الفضاء العام و الخاص زمن الوباء.

ربما وجبَ في هذا السياق الاستنجاد بالتأويليّة بما هي أداة تفسير، وهنا لا نعني البتة تفسير النصوص مثلما تتطرق لذلك الكتابات الفلسفية[20]، إنما هي محاولة أخذ الظاهر من الوجود والعيني وتأويله، أي شرحه ذاتيًا وفقًا لتقاطع النظريات الممكنة والمتاحة، والمشارب المتعددة - بطبيعة الحال. وربما ذلك يُعد من أمارات الفهم الإبستيمي[*épistémè*] المعاصر من خلال اللغة، الفعل، البنى الفنية والثقافية والتاريخية وإنتاج الرمزية /الرمزيات؛ وهذا ما نجد له تحديدًا صدى في أركيولوجيا ميشال فوكو Michel Foucault[21]، حيث يصبح التطرق للعنف مجال حفر أركيولوجي معرفي أولا ويؤول **تقاطعيًا** ثانيا، أي بفهم مسبباته وممكناته، وهنا وجَبَ إذن فهم الفضاء وفقًا للبناء الهرمي الاجتماعي: هيمنة المذكر على المؤنث، والتداخل في الفضاءات والأدوار الجندرية التي تشغلها زمن الكورونا، وهو الذي نرجح أنه دفع لازدياد وتيرة العنف المسلط على النساء.

عندما نتطرق للفضاءات نجد أنفسنا أمام تحديدات أخرى، حيث هنالك عديد التقسيمات التي تشتغل: أولاً، نجد التمييز بين المفتوح والمغلق، وهذا ما يمكن إدراكه عينيًا، ثم نجد التمييز بين العام والخاص. لكن المعطى الحديث جدًا، والذي يرافق تمثلات الجائحة العالمية يتمثل في أنه **فعلاً** لم تعد هنالك حدود تمنع وَصل هذا بذاك[22]، وهنا تفهم **مشهدية** الفضاء العام على أنها مجال استيعاب البنى الثقافية والفكرية التي تدعم عنف الرجال ضدّ النساء إما قولاً أو فعلا، وذلك يرتبط أيضا بمشهدية الجماعة[23] ضمن مجموعة الأفعال التي ترتبط بالأفراد وبما ينتجونه، لأن العنف لا يمكن أن يكون شكلاً واحدا وإنما يتعدد بتعدد تمثلات الفاعلين الاجتماعيين، وهو ما قد يدفعنا للقول بأن العنف المسلط على النساء هو تمثل هيتيرو-بطريركي يتقاطع بين كلّ من يستبطنون هذه الخاصية وهي التي تدفعهم للتقابل وممارسة وإعادة إنتاج نفس الفعل، وربما ذلك ما نجد له صدى في تحليل الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس Jürgen Habermas حيث يعتبر المجال العام إطار

[20] مقدمة في الهيرمينوطيقا، دايفد جاسبر، ترجمة وجيه قانصو، منشورات الاختلاف، ص21 .

[21] « Les sciences humaines en effet s'adressent à l'homme dans la mesure où il vit, où il parle, où il produit. C'est comme être vivant qu'il croît, qu'il a des fonctions et des besoins, qu'il voit s'ouvrir un espace dont il noue en lui-même les coordonnées mobiles ; d'une façon générale, son existence corporelle l'entrecroise de part en part avec le vivant ; produisant des objets, de outils, échangeant ce dont il a besoin , organisant tout un réseau de circulation, au long duquel court ce qu'il peut consommer et où lui-même se trouve défini comme un relais, il apparaît en son existence immédiatement enchevêtré aux autres, enfin parce qu'il a un langage, il peut se constituer tout un univers symbolique, à l'intérieur duquel il a rapport à son passé , aux choses, à autrui, à partir duquel il peut également bâtir quelque chose comme un savoir » les mots et les choses, Michel Foucault, Paris, Gallimard,1966, p 362.

[22] « Les représentations du public et du privé qui ne correspondent plus à une frontière bien établie entre privé et public, entre le domaine privé et l'agora » Métamorphose de l'espace public, Olivier Mongin, revue EPRIT, 2012/11 novembre, p74.

[23] « Le pluriel correspond à l'espace public qui offre au public une « commune visibilité », celle des rues, des places, des lieux et des monuments qui font émerger un espace commun ; le singulier renvoie à l'« espace public politique » qui est indissociable de dispositifs, de procédures ou de lieux tangibles favorisant le débat public » Ibid., p73.

تجمع خصوصيات الأفراد ضمن التقاطعات التي تجمعهم[24]. لكن في سياق آخر، يمثل الفضاء العام مجال المراقبة، ومجال إرساء شروط التحديدات المكانية، وهو ما ارتبط خصوصًا بظهور **الأمن** الذي يَحرس المدن؛ حيث تحدد خلال القرن الثامن عشر ملامح التحكم في المناطق العمرانية والسكنية، أي لنقل التحكم في المجال الإقليمي (la question de la territorialité)، وهذه المراقبة تخضع إلى هندسة المساحة وتقسيمها. ههنا نحن إزاء الإحالة إلى مجال التأطير[25] لغاية السيطرة والمراقبة، وهو تقريبا ما تم العودة إليه بقوة في الحجر الصحي العام، والذي ساهم في بسط مجال حيوي لفاعلية الذكورية المتسلطة التي بَسطت في المجال المنزلي أو الخاص ثنائية الطاعة والتأديب، وذلك في إعادة إنتاج لصورة الرجل المتحكم/ المسجون في الحجر الصحي العام.

وطأة الجندر Gender في الفضاء تُفصح عن استعمالات مخصوصة له، حيث يكشف عن **مشهدية** مختلفة في فضاء <u>المرور والحركة</u>؛ وفي ذات الآن يرفع اللُبس عن مَكمن الطقوس [Les rites] والتفاعلات الثقافية التي يُمكن معاينتها سوسيولوجيًا ؛ أين تتبدى لنا التجارب الثقافية بخصوصيتها ضمن هيكلة معينة، والتي تتسم عمومًا بغلبة المذكر على المؤنث، وفقًا لما هو موجود أوليًا a priori من نمط وعادات؛ كلّ ذلك وفقًا للتداخل أو التفاضل بين الداخل والبراني، لكن الأساسي في كلّ ذلك مغادرة هذه التمثلات للمجال الافتراضي، بما هو تقويم زمكاني مغاير تماما للفضاءات الأخرى، حيث تتجسد الترسيمات الاجتماعية [les schèmes sociaux] ضمن مواد تُشاهد وتشارك [مثل الصور والفيديوهات].

إننا نقوم باستدعاء المنظار الجندري كلّ ما تجسدت لدينا رؤية نقدية حول معيارية التعامل بين المُذكر والمُؤنث، ذلك لأن المعيار[la norme]، أي الإحداثية الثقافية والتاريخية، لم تكن يُومًا كونية، بل تتقوم ضمن مسارات مختلفة[26]. إنَّ الدراسات الجندرية تنخرط في تفكيك التقابلات الثنائية بين مذكر – مؤنث، طبيعي – ثقافي، هيتيروبطريركي – مغاير، خاص – عام، ويمكن الكشف عن تقاطعها مع العوامل الاجتماعية والسياسية، وذلك ما تكشف عنه النظرية التقاطعية L'intersectionnalité[27] ، حيث تتجسد هذه الهيمنة (الذكورية أساسًا) داخل تراتبية اجتماعية. في

[24] Voir : Théorie de l'agir communicationnelle, Jürgen Habermas, tome I, Rationalité de l'agir et rationalisation de la société, Jean-Marc Ferry (Trad.) Paris, Fayard, 1987

[25] «Par sa nature même, la police du XVIIIe siècle se voit elle-même comme une instance de quadrillage, de découpage de l'espace dans lequel on pourra contrôler les populations. Elle doit occuper le terrain, enserrer la population dans un filet le plus fin possible. On est là, sur le plan du discours au moins, exactement dans ce qu'expliquait Michel Foucault, avec l'utilisation de l'espace dans les processus disciplinaires. » La territorialisation policière dans les villes au XVIIIe siècle, Catherine Denys, Revue d'histoire moderne et contemporaine, N°1, Jan-Mar 2003, pp 14-15.

[26] « La norme n'est pas universelle. Elle n'est pas naturelle non plus. Elle est le fruit d'une construction culturelle, d'interactions et de négociation dans un contexte donné » Sous les pavés le genre, Caroline Dayer, l'Aube, 2014, p 16.

[27] تشير آمال القرامي إلى التقاطعية كالتالي "هي نظرية منتجة Productif theory استطاعت أن تعبر كلّ الاختصاصات (الدراسات النسوية، والدراسات الإثنية، ودراسات الكوير Queer studies والدراسات القانونية...)" كما " أجمعت أغلب المنظّرات على أن التقاطعية تعدّ أهمّ مساهمة نسوية لفتت انتباه البحّاثة إلى أنه من غير الممكن مناقشة الجندر دون النظر في العرق والطبقة والجنسانية و "الإعاقة" والعمر وما إلى ذلك." من مقال العلم ذكر لا يحبه إلا الذكران، النساء والمعرفة والسلطة، مؤلف جماعي، مسكيلياني للنشر، ص ص 20-23، 2019.

هذا الصدد، تجدر الإشارة إلى أنَّ جميع الدراسات والتحاليل تثبت أن غلبةَ المذكر على المؤنث مازالت موجودة، وهذا ما **تثبته تحديدًا حيثيات انتشار فيروس كورونا**، والجائحة العالمية، وعندما نصافح الجرائد المحلية والعالمية، نلاحظ وجود ثالوث مفهومي يتواتر بشكلٍ رهيب: ارتفاع وتيرة العنف المسلط على النساء أضعاف الأضعاف، تداخل الفضاءات (ومن بينها الافتراضي أيضًا)، وسطوة الجائحة ومخلفاتها النفسية، الاجتماعية والاقتصادية.

خـــــــاتمة:

شهدت السنوات الأخيرة تزايدًا مهما للأعمال التي تهتم بالدراسات النسوية، الجندرية والكويرية، والتي تحاول أن تستجيب لفهم وجودنا وكيفيات قراءة واقعنا. لقد دفعتنا الظرفية الأخيرة إلى العمل حول مخلفات فيروس كورونا، الذي لا يزال شبحًا يخيم على العالم، طالما أن ترياق الشفاء النهائي ليس موجودًا لهذه اللحظة، والجانب العلائقي الجندري بين النساء والرجال في مختلف الفضاءات [الواقعية والافتراضية] وظاهرة العنف التي ازدادت.

إنَّ القضية التي قمنا بالتطرق إليها ربما يعتبرها البعض من الهامش، لكن الإشكالية في الحقيقة هي الجَوسُ في حياة المهمشين وكشف تقاطع العوامل التي تُؤدي لازدياد العنف.

إنَّ العنف يُفهم فلسفيا على أنه محرك التاريخ، وفي أوائل الدراسات السوسيولوجية لم نكن نجد تعريفًا دقيقًا للعنف، بينما نجد مفاهيم أخرى من قبيل الصراع والهيمنة وغيره، لكن التطرق لهذه المسألة كَشف لنا أن العنف المسلط على النساء [والاقليات من جهة أخرى] هو ظاهرة متجذرة في المجتمعات الهيتيرو- باطريركية.

مثلما أشرنا في التحليل، إنَّ البنى الثقافية والفكرية والتاريخية ومسار تشكل العلاقات هو الذي أفضى إلى ما نحن عليه: فضاء مفتوح تهيمن فيه الذكورة على ديناميكيته وحركيته، وذلك بالعودة إلى نُظم التنشئة الاجتماعية التي تفتح مجال الصراع والمغامرة والكلام والمبارزة للرجال، وتدفعهم دفعًا إلى مساحات رحبة، بينما النساء، تتظافر عدة عوامل لسجنهن في الفضاءات المنزلية، وتكليفهن بأدوار الطبخ والتنظيف والرعاية والأمومة وغيرها... وحتى مع تغير الظرفية الاقتصادية، وخروج النساء للعمل، لم تتغير شاكلة هذه الممارسات.

أمام غياب القوانين الصارمة والإرادة السياسية والاجتماعية في مجابهة العنف المسلط على النساء، يبقى العنف رمزا للمجتمع الذكوري، ومع قدوم الجائحة وتداخل الفضاءات، وجدت النساء أنفسهن في مواجهة فظاعة هذه الهيمنة، التي تطعمها المعيارية الاجتماعية واللغوية والترسيمات الاجتماعية والعادات ومؤسسات الدين [مبدأ القوامة مثلا] والتشويه والاحتقار الذي تفشى في مساحات التواصل الاجتماعي. إن التخاذل في نشر قيم المساواة والاحترام والتضامن الفعلي أدى إلى

مثل هذه الكارثة، وهو ما يستوجب حسب تقديرنا الانطلاق في رحلات بحثية أخرى للتطرق لهذه الإشكاليات.

العنف لم يتوقف، ولن يتوقف، دون تغيير اجتماعي فعلي يسعى لفرض المساواة وقيم الاحترام، لأن وجودنا في العالم [أي من الجهة الأنطولوجية وإضفاء المعنى على المحيط] وفعلُنا فيه [من الناحية السوسيولوجية] لا يمكن أن يظل على حاله، وذلك ما تؤكده جدلية التاريخ. إنَّ المهم في كلمات الختام هذه هو التالي: ما أفصحت عنه الجائحة من أزمات اقتصادية وسياسية لا يضاهي سيناريوهات العنف المسلط على النساء داخل الفضاءات، والتعاطي مع هذا الأمر أضحى ضرورة ملحّة للغاية.

بدعم من:

FRIEDRICH EBERT STIFTUNG

CCFD TERRE SOLIDAIRE
Soyons les forces du changement